وفي سياق هذا الفهم الدغمائي للعلاقات الدولية يتجاهل ابو شلبابه المكانة الاستراتيجية الهامة التي تتمتع بها منطقتنا ، والتي استحوذت على اهتمام خاص لاحد اطراف القوى الدولية المتصارعة وهي الامبريالية العالمية ، ممثلة بالمصالح الاستراتيجية السياسية والاقتصادية (وخاصة البترولية) الضخمة التي تملكها ، والتي شكلت عنصرا اساسيا في تأييد ودعم اسرائيل ليس كعامل دائم وثابت في المنطقة فحسب ، بل كحارس امين على تلك المصالح من خلال مواجهة وقمع اي حالة تعرض مخططات الامبريالية ومصالحها للخطر .

اراد الكاتب ان يضع الظروف الدولية كنقطة ارتكاز لتثبت مبدأ « استحالة المواجهة » ، مما جعله يتجنب الحقائق والوقائع التاريخية السابقة والراهنة ، التي تؤكد على الارتباط العضوي والتطابق الاستراتيجي السياسي والعسكري بين العدو الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية . وذلك بهدف الغاء التناقضات الرئيسية والثانوية بين القوى الدولية المتصارعة ، واضعا اياها على نفس المستوى في مواقفها السياسية تجاه الصراع القائم في المنطقة .

واذا كانت المهام الوطنية والثورية تتطلب ادراك الظروف الدولية ، واكتشاف مدى وحجم تأثيرها من اجل تجييرها لمصلحة قواها الذاتية ، والاستفادة من التناقضات القائمة فيما بينها للنضال ضد معسكر الاعداء الرئيسي ، فالكاتب — على العكس من ذلك — يريد ان يثبت عدم جدوى القتال والنضال ، وذلك من خلال استسلامنا للظروف الدولية ، ووضع مستقبل قضيتنا رهينة لتوازنها .

ثمة سبب اخر جعل ابو شلبابه اكثر قناعة بمشروعه ، وهو خشيته ان يضيع شعبنا «الممكن» في طلب « المستحيل » .. يقول الكاتب :
« ان تاريخ القضية اكد لنا في جميع الحالات ، اننا كنا نضيع الممكن في طلب المستحيل » و « انا اصبحنا اناسا سلبيين نقنات بالخطب الرنانة دون ان تكون لنا مغارة نختبيء فيها او شبر من الارض نقف فوقه » .

أما الكيفية التي يريد انينفذ أبوشلبابه بها تاريخنا الذي اضاع الممكن في طلب المستحيل فيقول : ان تحقيق الممكن يأتي عن طريق « حسن النوايا » و « زرع الثقة » و « اقناع الشعب الاسرائيلي اننا لا نريد الحرب » و « الالتجاء الى الدول الكبرى » و « حمل اغصان الزيتون .. الخ » .

تناول أبو شلبابه ايضا بعض المعضلات الاساسية التي تقف أمام مشروعه ، وذلك بوضعه حلولا « ممكنة » لها كمسألة القدس ، و « المستوطنات الجديدة » التي اقامتها اسرائيل على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

بالنسبة للقدس يقول « .. انني اتصور مستقبلا زاهرا تكون فيه القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية ، وتكون فيه القدس الاسرائيلية عاصمة لدولة اسرائيل ، واني اتصور المدينتين متصلتين بلا حواجز ولا اسوار » .

اما فيما يتعلق بسكان « المستوطنات الجديدة » يقول الكاتب : « ان هناك وسيلة ممكنة .. فعند قيام الدولة الفلسطينية المقترحة ودولة اسرائيل سيجعل عددا من المواطنين الاسرائيليين يقيمون في الدولة الفلسطينية ، وسيجعل عددا من المواطنين الفلسطينيين (ويقصد عرب المنطقة المحتلة ١٩٤٨) يقيمون في الدولة الاسرائيلية .. اي سيجعل لدولة اسرائيل جالية يهودية في الدولة الفلسطينية . وسيجعل للدولة الفلسطينية جالية فلسطينية في الدولة الاسرائيلية » .

لا يمكننا تناول أفكار أبو شلبابه هذه بمعزل عن الاتجاهات الاستسلامية السائدة بين اوساط عربية وفلسطينية داخل المناطق المحتلة وخارجها ، اذ ان المأزق السياسي والعسكري الذي تعيشه أغلبية الانظمة العربية ممثلا بانتهاجها طريق التنازل ورهانها على « تسوية » من قبل الولايات المتحدة، وتحديد وتطويق نشاط المقاومة الفلسطينية في الداخل والخارج ، ساعد الى حد كبير في نمو تيارات واتجاهات في الداخل تدور حول نفس الاطر السياسية التي تنتهجها تلك الانظمة ان لم تكن تتجاوزها .

كذلك فان أفكار ابو شلبابه ليست بعيدة عن التطورات الاقتصادية التي واكبت الاحتلال الصهيوني ، من حيث التنامي المتزايد لمصالح البرجوازية الفلسطينية الكبيرة الاقتصادية في الاراضي المحتلة ، وسعيها المستمر في بلورة اتجاهات سياسية منسجمة مع تلك المصالح تطمح في الصعود على الهرم السياسي لتمثيل الشعب الفلسطيني بمعزل عن القوى الفلسطينية الثورية الاخرى والذي لا تتعدى مسألة اقامة دولة